الأمير عبد القادر مرجعٌ ثوريٌّ ورمزٌ إنسانيٌّ في الكتابات الأدبية الرّوسية (قراءة في نماذج مختارة)

من إعداد الدكتورة: ابتسام بوطي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

مداخلة في الملتقى الوطني: الأمير عبد القادر الانفتاح الفكري والأدبي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة/ الجزائر
انعقد يومي 27–28 فيفري 2024

ملخص:

تروم هذه الدّراسة البحث في صورة الأمير عبد القادر بطلُ الثورة الجزائرية المجيدة ورمزُ المقاومة الشعبية إبان القرن التاسع عشر ضمن كتابات أدباء الرّوس، إذ تُعَدُّ المعارك الشُّجاعة والثورات التي قام بها الأمير تعبيرا عن رفض الشعب للاستعمار وإنكاره للوجود الدّخيل على أرضه، حركة جهادية وصوتا اتسعت رقعته لتصل إلى البلاد البعيدة، لهذا حظيت مقاومة الأمير وثورته ضد فرنسا بحيزٍ واسعٍ لدى كتّاب العالم والكتاب الرّوس خاصة حيث مثّلت هذه المواجهات صوت الإنسان في دفاعه عن ذاته وأرضه وعرضه، ومن ثمّ فقد شكلت صورة الأمير رمزا تاريخيا ومرجعا ثوريا في تاريخ حركة التحرر الشعبية، كما عَدَّ الكتاب الرّوس حركات التّمرد ومناهضة الاستعمار التي قام بها الأمير عبد القادر شكلا من أشكال نضال الإنسان المستضعف حينذاك، ومحاولةً لكسر القيود التي فرضها الاحتلال الغاصب، وهو بذلك حق مشروع للأمير والجزائر والشعوب المستعمَرة قاطبة.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، صورة، الرمز، الثورة، الكتابة، روسيا.

Abstract:

This study aims to examine the image of Emir Abdelkader, the hero of the glorious Algerian revolution and the symbol of popular resistance during the nineteenth century, within the writings of Russian writers. The brave battles and revolutions carried out by the Emir are considered an expression of the people’s rejection of colonialism and their

denial of the alien presence on their land, a jihadi movement and a voice whose scope has expanded to reach... To distant lands, that is why the prince's resistance and his revolution against France gained wide attention among world writers and Russian writers in particular, as these confrontations represented the voice of man in his defense of himself, his land, and his honor. Therefore, the image of the prince formed a historical symbol and a revolutionary reference in the history of the popular liberation movement, Russian writers also considered the rebellious and anti-colonial movements carried out by Emir Abdelkader as a form of the struggle of the oppressed person at that time, and an attempt to break the restrictions imposed by the usurping occupation, which is therefore a legitimate right for the Emir, Algeria, and the colonized peoples as a whole.

مقدمة:

طالما عُدَّت مقاومة الأمير عبد القادر انتفاضة بارزة ونضالا تاريخيا أُلّفت حوله كتبٌ وخطت من أجله دراسات وأبحاث، فأهداف عبد القادر الثورية لم يسبق أن شهدتها الثورات تنظيما وتخطيطا وحنكة وبطولة، فضلا عن قوة الأمير الفكرية والسياسية التي فرضها على المحتل ليجعل هذا الأخير يعترف به قائدا سلطانا، ثم يجند كل قواه للإطاحة بهذه الشخصية العظيمة التي لم يسبق لها نموذجا في سائر أقطاب الجزائر حينذاك ، وما زاد الأمير هيبة وأذاعه صيتا هو اتخاذه للرسالة المحمدية غاية وتوحيدُ الأمة الإسلامية هدفا وابتغاء، وهو ما أربك العدو وجعله يسلط كل أضواءه القذرة على فكر الأمير وشخصيته وسياسته ليفك شفرات خططه ويحلل تحركاته ليفشلها فيما بعد ومن ثم يكسر جناح المقاومة التي عطّلت توسعه وقيّدت هيمنته ليقضي عليها ويواصل استلاب الأراضي وتقسيم الشعب.

إن قوة الأمير عبد القادر وبطولاته التي بلغت أوجها سنتي 1838 و 1839م والتي استطاع فيها الأمير أن يكون سلطانا على جزء كبير من الجزائر بعد اعتراف المحتل بقوته ومكانته تجاوزت حدود

الوطن واشتهر اسمه في قريب البلدان وبعيدها، ثم إن طموحه في بناء دولة عربية إسلامية بدستور محمدي تقف ضد كل دخيل وتجمع كل الأمة بقبائلها وعشائرها سهّل للكثيرين الالتفاف حوله ودعم دعوته، فوُحِّدت الصفوف وأقام الأمير نظاما عادلا يعكس قانون التفريق والتمييز الذي سنّهُ العدو وفرضه بين الأهالي والمستوطنين.

لقد أدرك الأمير عبد القادر بفكره وقوته وبطولاته شرق العالم وغربه وأسمعت ثورته من به صمم، فنُصِّب رمزا لثورة الإنسان على جلاده وشكلت مسيرته منهجا لمقاومة الشعوب ورفضها لكل دخيل غاصب.

إشكالية البحث:

-ما هي المكانة التي احتلتها شخصية الأمير عبد القادر ضمن الكتابة الأدبية الرّوسية؟ وكيف تمثّلت صورة الأمير عبد القادر لدى الكتاب الرّوس؟ ولماذا عد الأمير مرجعا شوريا عالمية؟

أولا: صورة الأمير عبد القادر ضمن الكتابة الرّوسية:

رغم مرور ما ينيف عن القرن من وفاة الأمير عبد القادر ما تزال شخصيته تبعث صدى في الجزائر وفي كل أقطاب العالم، وما تفتأ تفاجئنا بجوانب لم يتم الخوض فيها بعد، سواء أكانت هذه الجوانب فكرية أو سياسية أو بطولية، فـ" نضال الأمير عبد القادر هو جهاد محارب ورجل دولة في وجه المد الأجنبي، وكان في إقباله وإدباره، وفي انتصاره وهزيمته نذيرا للاستعمار، وممهدا للثورة الجزائرية الكبرى، ولعل سيرة الأمير عبد القادر الجزائري من أحفل سير الأبطال في العصر الحديث، بالتضحية والجهاد من أجل تحقيق المثل العليا المقدسة: الدين والحرية والكرامة"1

فقد غدا الأمير رمزا لثورات العالم وما كُشِفَ من شخصيته غاية يومنا هذا إلا النزر القليل، وعلى الرغم من الدّراسات التي كتبت إبان القرنين التاسع عشر والعشرين حول هذه الشخصية المثيرة والفكر

الخالد غير أنها لم تستوف حق البطل من جهة ولم تتمكن من إبانة جزء كبير من حياته ما يزال مجهولا حتى عصرنا هذا خاصة ما تعلق بعلاقات الأمير بالشخصيات السياسية والمرموقة حينذاك.

لقد حظي الأمير عبد القادر بحيز واسع ضمن الكتابات الفكرية والأدبية الجزائرية والعربية كما نَالَ مكانة سامية في الكتابات العالمية لكنها لم تلقى الصدى الكافي في الوطن العربي والجزائر خاصة، وذلك بعد مأثرة الأمير في تاريخ السلم والسلام وروح التّسامح والتّعايش التي أبانها، فقد نجح الأمير بكل شجاعة أن يخمد نار الفتنة الطائفية التي أوشكت على إهلاك ما يقارب خمسة عشر ألف مسيحي حينذاك (وهو ما فصل فيه عبد العزيز بوباكير في كتابه الجزائر في الاستشراق الروسي)

" لقد كانت شخصية الأمير عبد القادر الفذة آنذاك في العالم كلّه، ووصلت أصداء مقاومته للاحتلال الفرنسي إلى روسيا البعيدة، وكانت روسيا تتابع باهتمام كبير وقائع وأساليب احتلال الجزائر، وكفاح الجزائريين تحت راية الأمير، وسبب هذا الاهتمام الروسيّ يعود على ما يبدو إلى كون روسيا القيصريّة كانت آنذاك في مرحلة توسّع امبرياليّ في مناطق شبيهة بالجزائر اجتماعيا واقتصاديّا وجغرافيا خاصة في القفقاس وتركستان، وكان الإمام محمد عبد القادر شامل يخوض ضدّ الجيوش الروسيّة كفاحا شبيها في الهدف والأسلوب بمقاومة الأمير للاحتلال الفرنسي"2

يبدو أن العلاقة الروحية والتشارك الفكري الذي كان يجمع الأمير عبد القادر بالإمام شامل (1797-1871م) رغم بعد المسافة بينهما جعل الاثنين مع مشروعية مطلبيهما يظفران بمكانة كبيرة لدى جمهور الكتّاب والباحثين وبلا ريب المؤرخين، والإمام شامل قائد وثوري قاوم روسيا القيصرية وواجه مطامعها التوسعية خلال 25 سنة وهو مؤسس دولة القوقاز التي تشمل (الشيشان وداغستان) وقد لقب بأسد القوقاز، " وتجدر الإشارة إلى أن العمليات الحربية في الجزائر كانت تلفت اهتمام الحكومة القيصريّة من هذا الجانب بالذات، ويظهر ذلك مثلا وبوضوح تام من كتاب المؤرخ العسكريّ الروسيّ العقيد موديست بوغدانوفيتش "الجزائر في العصر الحديث" الذي صدر ببطرسبورغ في عام 1849م"3

في البداية كانت الرّحلات التي يقوم بها العلماء والباحثون إلى الجزائر بمثابة أداة تواصل ورابط اكتشاف للمنطقة ورجالاتها، وقد كانت ترمي إلى التعرف على البلد بأحواله وشخصية أفراده وأشكال المقاومة فيه، ومن ثم مقاربتها مع البلدان التي كانت روسيا تستهدفها باعتبار التشابه الكبير بين المنطقتين – وهو ما سبق ذكره– ففي " النّصف الأوّل من القرن التّاسع عشر أوفدت روسيا إلى الجزائر بعض الشّخصيّات الرسميّة للاطّلاع على الوضع في البلد، وأوّل رحلة معروفة في هذا المجال هي تلك التي قام بها عام 1847م عالم الطّبيعيات الروسيّ المعروف إدوارد ايخنفالد، وكان هذا العالم عضوا بارزا في الجمعيّة الجغرافية الروسيّة التي كانت تنظم البعثات العلميّة إلى الخارج، وخلّف هذا العالم الرّحالة كتابا صدر في سانت بطربسورغ بعنوان (نبذات حول رحلة الجزائر) "4 لقد كانت رحلة إدوارد ايخنفالد البداية الأولى للإعلان عن ولادة العلاقات الجزائرية–الروسية والتي شكلت الجزائر من خلالها أرضا خصبة للتجربة الاجتماعية ومظاهر المقاومة الشعبية التي تزعمها الأمير عبد القادر في مواجهة فرنسا وربطها مع مقاومة الإمام شامل ومواجهته لروسيا.

لم يُدِن العالِم ايخنفالد الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث صوره ضمن كتابه على أنه أمرٌ حتمي وعملية طبيعية ترمي إلى نشر الحضارة وتطوير البلاد، بيد أنّه يتحدث "عن الأمير بإعجاب جمّ ويصفه "بقائد العرب الهمام" وأعجب ايخنفالد بشجاعة الأمير ومكانته المرموقة في أوساط الجزائريين البسطاء وشيوخ القبائل، واللافت للانتباه في هذا الكتاب هو المقارنة التي يجريها إيخنفالد بين الأمير عبد القادر وإمام داغستان محمد عبد القادر الشامل الذي كان هو الآخر متزعمّا لمقاومة المسلمين للتوسّع الروسيّ في أعالي القوقاز، وتكتسي هذه المقارنة قيمة أكبر خصوصا إذا عرفنا أنّ الأمير والإمام سيتبادلان الرسائل فيما بعد، وسيلتقيان مرّتين في سوريا ومصر، وأن الأمير سيبذل قصارى جهده من أجل أن تفرج الحكومة القيصريّة الروسيّة على الإمام شامل من منفاه في مقاطعة كالوجا"5

يبدو هذا الكتاب في حقيقة الأمر كنوع من الدّراسات التي تقوم على الموازنة والتحقيق والمُقابلة فالعالِم ايخنفالد إنما يذكر شخصية الأمير عبد القادر ليُقابلها بشخصية الإمام شامل، ويستحضر مذهبه وتعامله اللين في جمع القبائل ليقارنه بما يقوم به الإمام شامل في منطقة القوقاز، ومن ثَمَّ فالدّراسة تحمل بُعدا سياسيا يسعى من خلالها مؤلف الكتاب إلى تقديم صورة مماثلة للإمام شامل عن طريق البحث في سمات الأمير عبد القادر وأسلوبه الثوري.

يقول إيخنفالد في مجال هذه المقابلة: "لقد كان الأمير عبد القادر يقود بنفسه إلى المعارك رجال القبائل المتفانين في إخلاصهم ووفائهم كما كان قدوة لهم في البسالة والشجاعة، أمّا الشيخ شامل فإنّه يبقى عادة في المؤخرة يلهب حماس المريدين بالصّلاة والدعاء ويلتمس النصر متوسّلا من السّماء، ولذلك فإنّ القبائل التي يقودها الأمير عبد القادر أحرزت النصر" وبعد هذه المقابلة المثيرة ينتقل إيخانفالد بحكم تخصّصه في الطبيعيات، إلى المقارنة بين الظروف الطبيعية للقوقاز والجزائر"6

لم تقتصر الكتابات الرّوسية حول مقابلة الأمير بالإمام حيث يذهب عبد العزيز بوباكير في كتابه: الجزائر في الاستشراق الروسي إلى كشف الغطاء عن عديد الدّراسات الرّوسية التي كتبت عن الأمير عبد القادر وبطولاته الثورية ومقاومته التي تعدى صداها الحدود الجغرافية للجزائر المسلوبة حينذاك، كما قدّم الكتاب مجموعة من الأعمال لكتاب روس صوروا الأمير ضمن كتاباتهم كرمز إنساني، وقائد ثوري، لقد أشادت الكتابات الرّوسية بقوة الأمير وحنكته السياسية بل تعدّت ذلك حدّ التغني به وبمآثره, نجد "الرّحالة الروسيّ الثاني الذي تحدّث عن الأمير عبد القادر هو ميخائيل دوختوروف، ...الذي وصف نمط حياة البدو وظروف معيشتهم وأخلاقهم في كتابه الذي صدر عام 1863م في سانت بطرسبورغ بعنوان "رحلة إلى الشرق" فأثناء وجوده في دمشق أدّى ميخائيل دوختوروف زيارة مجاملة للأمير عبد القادر، وطلب منه النصح في مسألة انتقاء الخيول العربيّة الأصيلة، وتحدّثا عن الإمام

شامل وعن مراسلتهما وانقطاعها، وفي بيروت التقى العقيد دوختروف باللّجنة الأوروبية للتقصي في حقائق الفتنة الطائفية بين الدروز والموارنة، والتي كان للأمير الفضل الكبير في وقفها"7

فنشاط الأمير عبد القادر لم يتوقف بعد نفيه إلى دمشق وهذا ما تجلى في الصراع الذي قام في لبنان وسوريا عام 1860م بين الموارنة من جهة والدروز المسلمين من جهة ثانية، وبفضل حنكة الأمير وأسلوبه الذي أفضى إلى حقن الدماء وإيقاف الفتنة الطائفية وهو ما خلّدته الكتب العالمية حيث عدّته –الأمير– رمزا للسلام والتسامح.

من جهة أخرى نجد شهادة مهمة يقدمها ألكسندر كورباتكين عن الأمير عبد القادر وترجع أهميتها أنّها " شهادة صادرة عن عسكري له تجربة طويلة في الحروب في مناطق مختلفة من العالم، فقد كان كورباتكين وزيرا للحربيّة في الحكومة الروسية بين 1898م–1904م وقاد الجيوش الروسيّة في منشوريا خلال الحرب الروسيّة–اليابانية، كما قاد الجيش الروسيّ في الجبهة الشماليّة أثناء الحرب العالمية الأولى، وقمع الانتفاضات العديدة التي اندلعت في آسيا الوسطى، وخلّف كورباتكين مؤلفات عديدة من تاريخ الحروب والجغرافيا الحربية، وكان كورباكتين أثناء زيارته الجزائر ضابطا في الأركان العامة للجيش الروسيّ برتبة نقيب"8 وعلى ما يبدو أن هذا النوع من الزيارة شبيه إلى حد كبير مع الرحلة التي قام بها إدوارد ايخنفالد وهو ما ذكرناه سابقا، فالزيارة تهدف في مجملها إلى دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية في الجزائر، وتتعرض إلى أشكال المقاومة فيها وأساليب الاحتلال القمعية وطرق هيمنته على الأراضي الجزائرية التي تتشابه إلى حد بعيد بالأراضي الإسلامية المحتلة من طرف روسيا القيصرية حيث أن ألكسندر كورباكتين "شارك في حملة عسكرية ضخمة إلى الصحراء الجزائرية كان الهدف منها التعرّف على هذه المناطق لاحتلالها وتعزيز السّيطرة الفرنسية فيها وجمع الضرائب، ولعلّ الهدف الرئيسي من إيفاد كورباكتين في مهمّة رسمية إلى الجزائر يكمن في رغبة الحكومة القيصريّة في الاستفادة قدر الإمكان من الخبرة التي اكتسبتها فرنسا في قمع انتفاضات الشّعب الجزائر، وبالفعل

فقد استفاد كورباكتين من تجربته الجزائرية وألّف مقالات عديدة نشرت في مجلات عسكريّة، كما وضع كتابا بعنوان "الجزائر" صدر عام 1877م في سانت بطرسبورغ"9

يقدم الكتاب صورة مفصلة –إلى حد ما– عن الجزائر ذلك أنّه عايش التجربة العسكرية وتمكن خلال تواجده في الجزائر من زيارة مناطق مختلفة حتى المناطق الصحراوية منها ما أتاح له فرصة اكتشاف الوضع ودراسته عن كثب، أما عن الأمير عبد القادر فيذكره كورباكتين في الفصل الثاني من الكتاب ذاته ويصف مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي يقول: " كان بمقدور عمليّة الاحتلال أن تسير بسرعة كبيرة لولا أنّ ظهور الأمير عبد القادر قد أوقف لسنوات عديدة توسّع المحتلين وتغلغلهم داخل البلاد، إذ استطاع هذا القائد العسكريّ الفذ أن يجمع حوله سكّان المدن وأهالي الجبال على السواء تحت راية الإسلام والجهاد ضدّ الغزاة الأجانب"10 إذن فالكتّاب الروس –بعيدا عن الأهداف التي رافقت رحلاتهم وتنقلاتهم إلى الجزائر– لم يغفلوا الجانب الثوري التي كانت تعيشه الجزائر إبان القرن التّاسع عشر، فانعكست ملامح التمجيد والمساندة –إذا استطعنا أن نصفها كذلك– للجزائريين شعبا والأمير عبد القادر قائدا وثائرا ورمزا لا يُمكن تجاوزه وتهميشه خلال توثيق تلك الرّحلات والتّجارب وهذا ما ظهر جليا كذلك في كتاب "مصر الحديثة" للكاتب الروسي سولوغوب والذي كان موظفا في وزارة الشؤون الداخليّة الروسيّة وهو ما ذكره بوباكير إضافة إلى حضور الأمير عبد القادر مراسيم تدشين قناة السويس ولقاءه مع الإمام شامل في شمال في حي العمارة بدمشق والقفقاس.

الأمير عبد القادر

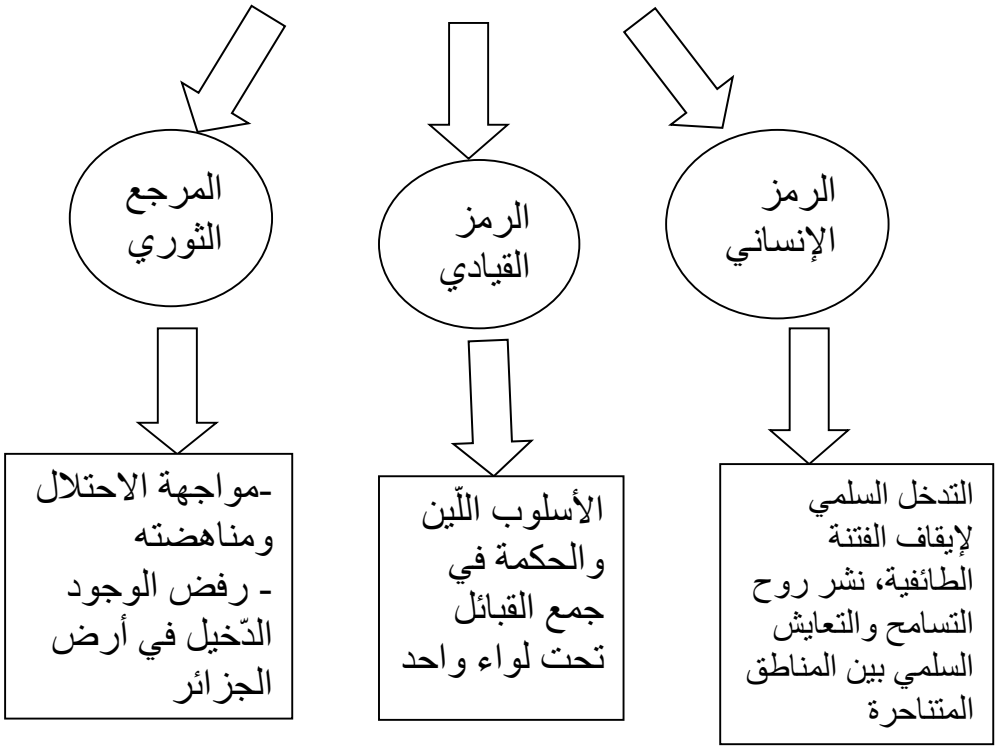

ثانيا:الأمير عبد القادر في القرن العشرين:

لقد كان اهتمام الكتّاب الرّوس بالأمير عبد القادر وشخصيته الفذة محط اهتمامهم لمدة تجاوزت معاصرة الرّجل وتجاوزت القرن التّاسع عشر إلى القرن العشرين، فما حملته الكتابات الرّوسية في العهد السوفييتي جاء مماثلا أو لعله أخذ أكبر حيزا من العصر السابق، "فلا يخلو كتاب عن تاريخ الجزائر من ذكر الأمير عبد القادر وكفاحه البطوليّ، وقد انعكس هذا الاهتمام تحديدا في الدراسات العلميّة المخصصة لسيرة الأمير ومقاومته ودولته، وتعتبر الباحثة خميلونا أكبر مختصة في الأمير عبد القادر، فقد كرّست جهدها العلميّ لدراسة أشكال وبنى الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر"11 ولم تتوقف الباحثة عند الطابع العام للمساعي التي قام بها الأمير لبناء الدولة الجزائرية بل قدّمت دراسات عدّة حول شخصية الأمير وأفكاره وشكل المقاومة لديه، كما تعمقت في أساليب ثورة الأمير ضد الاحتلال وأشكال التّصدي التي قام بها للحدّ من التوسع الفرنسي داخل الجزائر، فثورة عبد القادر مثّلت "الحركة الجماهيرية التي لا تُقاوم والتي تستهدف التغيير السريع والعنيف في السياسة والمجتمع ونظام الحكم بهدف إحداث

القطيعة مع الحاضر (الاحتلال) والاتجاه نحو المستقبل، وهذا ما يجعل الثورة تختلف عن العصيان والتمرد والحرب"12

لقد نشرت خميلونا "منذ 1962عدّة مداخلات ومقالات في هذا الموضوع، كما أفردت كتابا كاملا لجهود الأمير من أجل إرساء دعائم دولة وطنية حديثة، وصدر هذا الكتاب عام 1973م بعنوان: "دولة الأمير عبد القادر الجزائري" وإلى جانب هذا الكتاب تجدر الإشارة إلى دراسات هامة لنفس الباحثة هي: "السّياسة الداخليّة للدولة الجزائرية في فترة الكفاح الشعبيّ التحرريّ ضدّ المستعمرين الفرنسيين" 1962م و "حول مغزى الدولة الجزائرية التي تزعمها الأمير عبد القادر 1963 و "الدولة الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر وتقييم التدوين التاريخيّ الفرنسي لها في القرنين التّاسع عشر والعشرين" عام 1974م"13

أما عن سير الأمير عبد القادر فقد مثّلت السيرة التي كتبها الرّوسي يوري ستيبانوفيتش آغانيسيان مجملا وافيا عن حياة الأمير كما أنها اكتسبت قيمة بالغة لدى الرّوس فكان اهتمامهم واضحا وجليا بالأمير وبطولاته "وهي تمثّل بحق جهدا علميا رفيعا في دراسة الاستشراق الروسي لتاريخنا ورموزه، وتعتبر إلى جانب كتاب "حياة الأمير عبد القادر" لشارل هنري تشرشل من أفضل السيّر وأوفاها عن الأمير، ومما يزيد في قيمة هذه السيرة هو صدورها عن الدار العريقة "الحرس الفتي" التي أسسها عام 1922م الكاتب الرّوسي الشهير مكسيم غوركي، والتي تخصصت منذ 1933م في إصدار سلسلة هامة عن عظماء ومشاهير العالم بعنوان "حياة المشاهير" ولم تدرج هذه الدار حسب الدراسات سوى اسمين عربيين في هذه السلسلة هما الأمير عبد القادر سنة 1968م وابن بطوطة عام 1983م."14

يُمثل هذا إصدار حجم الاهتمام الكبير الذي حظي به الأمير عبد القادر لدى الكتاب والمفكرين الرّوس من جهة، والأثر الذي خلّفه بطلنا الوطني في الآخر وفاعليته التي برزت وما تزال ضمن الكتابات العالمية غاية يومنا هذا.

تقع سيرة يوري آغانيسيان حول الأمير "في 172 صفحة من القطع المتوسط، وهي مزيّنة بأكثر من 50 صورة للأمير ورفقائه في السّلاح ولتحفه ولشخصيّات تاريخيّة معاصرة له ولمواقع حربيّة معروفة، وقد اعتمد يوري آغانيسيان في كتابه هذه السّيرة على مصادر ووثائق نادرة واستعمل مراجع عديدة باللّغات الفرنسية والانجليزية والروسيّة"15

يطبع هذه السيرة العناية الكبيرة التي أبانها الكاتب في اهتمامه وذكره تفاصيل حياة الأمير مذ طفولته والأحداث التي عايشها وهي ما مثّلت العناصر المشكلة لشخصيته وفكره الباني، يتحدث عبد العزيز بوباكير حول سيرة يوري آغانيسيان يقول: " تنقسم السيرة إلى أربعة فصول الفصل الأول خصصه المؤلف لطفولة الأمير وتربيته والبيئة التي نشأ فيها، وعالج في الفصل الثاني الوضعيّة العامة للبلاد قبل الاحتلال وأثناء الاحتلال ومقاومة الشعب الجزائري له، أمّا الفصل الثالث فقد أفرده المؤلف للفترة الممتدّة من معاهدة التافنة إلى استسلام الأمير عبد القادر، وفي الفصل الأخير يتحدّث صاحب السيرة عن حياة الأمير في منفاه بدمشق واستقبال أهل الشام له، ومكانة الأمير بينهم ومأثرته في إخماد لهيب الفتنة الطائفية، دون أن ينسى خصال الأمير وأخلاقه الرفيعة وتأملاته الصوفية واهتمامه بعلوم الدين ونظمه الشعر"16

يجب التنويه أنه مؤخرا وفي سنة 2022م صدرت ترجمة عربية لسيرة يوري آغنيسيان قام بها الدكتور **محمد رشيد ميلود** وهي ترجمة للطبعة الرّوسية أبرز فيها المترجم جوانب مهمة من حياة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، فكتاب عبد القادر ليوري آغانيسيان يُعدُّ من أهم الكتب التي أُلِّفت حول أميرنا بقلم الآخر/الرّوسي، فالكتاب قدّم حياة بطل عربي/جزائري قاوم المحتل بكل ما أوتي من قوة، كما كان فطنا حذرا ذكيا في تعامله مع عدوٍ يطمح إلى بسط نفوذه وسيطرته بكل الأساليب البشعة، سيرة الأمير التي جاءت بعيون روسية رصدت حياة بطولة وفداء، هي في رأي الدكتور عماد حاتم من "الكتب التي لا تستوفي حقها إلا الترجمة الكاملة، لأنّه لا يشمل على فكرة واحدة يمكن تلخيصها في صفحة صغيرة

بل يتحدّث عن حياة غنيّة حافلة كان كل فصل فيها تجربة إنسانيّة خالدة، حافلة بالمعاني، إنّه صفحة مشرقة في التّاريخ العربيّ والإنساني ساهم في إحيائها إنسان من بلاد بعيدة، وضع فيها الكثير من روحه وتعبه وجهده، وصاغها قدوة يحتذي بها كلّ إنسان حرّ مؤمن يمثّل الحق والعدالة والكرامة الإنسانيّة"17

خاتمة:

يبدو أن شخصية الأمير عبد القادر ما تزال –رغم ما كتب– تحتاج إلى تقصٍّ وتتبّعٍ وفي أحايين كثيرة تحتاج سيرة حياته إلى تمعن منا، فبعودتنا إلى تاريخ الأمير والجزائر عامة نحن نسترجع ما حاول قطاع التّاريخ أن يسرقوه منا، ثار البطل على المستعمر وقابل العنف بعنف أشد وحاول ما أمكنه ذلك الاتصال بأحرار العالم والشرفاء منه ليسترجع حقه المشروع ويبني دولته الناشئة ويوحد الصفوف، بذل ما في وسعه للدّفاع عن حقه وحق شعبه من أجل حياة حرة كريمة، حتى ذيع صوته وعلت رايته وأسمعت ثوراته من به صمم، فتضامنت معه الأجناس بمختلف مذاهبها ورفعت له الأقلام من كل قطب؛ فتمثّل عبد القادر كبطل من الأبطال الخارقين وأسطورة حقيقية من أساطير القوة والذكاء كما مثّل بشخصيته الفذة إيمان الشّعوب الرّاسخة بالحرية المشروعة والأمل المتدفق عبر ثورات التحرر.

الهوامش:

1–نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر،دار العلم للملايين، ط1، بيروت، يناير 1981، ص 122

2–عبد العزيز بوباكير: الجزائر في الاستشراق الروسي، مقدمة أحسن بشاني، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر 2018 ص 57

3– عبد العزيز بوباكير، نقلا الفكر الديمقراطي العدد 3 خريف 1989م ص 217.

4– عبد العزيز بوباكير: الجزائر في الاستشراق الروسي، ص 58

5–المرجع نفسه 58

6– عبد العزيز بوباكير ص 58–59 نقلا عن ايخنفالد إدوارد، نبذات رحلة إلى الجزائر بطرنسبورغ 1847.

7–المرجع نفسه.

8–عبد العزيز بوباكير نقلا عن المعجم الموسوعي السوفييتي.

9-عبد العزيز بوباكير، الجزائر في الاستشراق الروسي، ص 60

10-عبد العزيز بوباكير نقلا عن المعجم الموسوعي السوفييتي ص 221

11- عبد العزيز بوباكير، الجزائر في الاستشراق الروسي، ص 60.

12- مصطفى كيحل: جدل الهوية في الخطاب الجزائري المعاصر، دار ميم للنشر، ط1، الجزائر 2022، ص 36.

13-عبد العزيز بوباكير، نفسه، ص 60،61

14-آغانيسيان يوري، عبد القادر، مولودايا غفارديا –موسكو- 1968، (يُنظر عبد العزيز بوباكير، الجزائر في الاستشراق الروسي)

15- المرجع نفسه، ص 61.

16- المرجع نفسه.

17- الثقافة، السنة الثالثة، العدد 14، ماي 1973، ص 128.